- **(محاضرة 14) اللغة والإدراك:**

- **اللغة والعرفان:**

إنّ الأصل في النسبة بين اللفظ والمعنى أن تكون المطابقة التامة أو التكافؤ بمعنى التساوي، أي أن لفظ كذا يساوي معنى كذا. ولكن التقدم الإنساني وتعقد الأمور استوجبا صعوبة اشتقاق ألفاظ جديدة لمعان جديدة فأطلق لفظ واحد على عدة معان كقولنا (العين) اسماً على عضو الإبصار، والماء الجاري، والسيد في قومه، والشيء المتحقق في الوجود! وغير ذلك من المعاني التي تطلق عليها كلمة عين.[1]

غير أن هذا التعقيد في الحياة أدى إلى نتيجة عكس الأولى، فقد أصبح المعنى الواحد يحمله عدة ألفاظ كقول العرب على الأسد: ليث، ضرغام، غضنفر، هزبر، ضيغم. ولا ندري مع ذلك إن كان تكثير اللفظ هكذا دليلاً على عهود الفوضى الاجتماعية، أو على الثروة اللغوية أو على تعدد القبائل الناطقة بلغة ما، وإن كنا نعلم أن البدوي في الحجاز الذي رأى السيارة لأول مرة فأطلق عليها فوراً وهو يشير إليها كلمة (الراكضة) بينما نقول (السيارة) وكما نقلنا لفظ (القطار) من المطر إلى القافلة إلى ذلك الذي يجري بعجلاته على قضبان الحديد.[2]

ومن الواضح أن الاسم المنقول في انتقاله من معنى إلى آخر إنما يحمل معه ذكرى الحياة السابقة عليه، ولكنه مع ذلك يثير مشكلة كان الأجدر به أن يخمدها وقد يكون الإجماع القومي من السلطان والنفوذ بحيث يقضي على هذه المشكلة هي الخلط بين المعاني المرادة. فاللفظ (كفر) كان في الأصل بمعنى (غطى) ثم انتقل إلى معنى جديد يفهمه الآن كل الناس في لغتهم الدينية فيقولون: فلان كافر بنعمة الله. أو كافر فقط. وحتى هذه المرحلة لا يزال اللفظ مخلصاً لأصله الأول، ولو أردنا إحياء هذا الأصل صادفتنا هجمات لا نقوى على احتمالها.[3]

إنّ ثمة علاقة عضوية متينة بين اللغة والتفكير، فاللغة هي القالب الذي ينصبّ فيه الفكر، والفكر هو المضمون الذي يحتويه ذلك القالب اللغوي. ويعبر البعض عن هذه الوشيجة بالقول بأن اللغة والفكر يعتبران وجهين لعملة واحدة. يتعذر التفكير التجريدي (الذي هو في المعنويات لا في المحسوسات) في حالة انعدام اللغة ويتسطح بضعفها؛ ذلك أنها السبيل الأوحد لتحويل التفكير الحسي (في المحسوسات) إلى تفكير تجريدي نافع. ويستلزم التفكير العميق ثراءً لغوياً وعمقاً في فهم دلالات وإيحاءات الكلمات المكونة للبناء اللغوي.[4]

---

[1] انظر: مجلة الرسالة، العدد 884، ص:07، بترقيم الشاملة آليا.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص:ن.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص:ن.

[4] انظر: مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد 131، ص:114، بترقيم الشاملة آليا.

ولقد أثبتت بعض الدراسات قوة العلاقة بين اللغة والتفكير؛ حيث اكتشفت دراسة متخصصة أن لغة قبيلة هوبي الهندية لا تحتوي على صيغة الماضي والمستقبل، وإنما تحتوي فقط على صيغة الحاضر، ولذا فإن أفراد هذه القبيلة يتكلمون كل شيء وكأنه يحدث الآن، مما أثّر على تفكيرهم![1]

وأيا كان الأمر فإن العلاقة بين اللغة والعرفان لها ثلاثة أوجه؛ الوجه الأول أنّ اللغة علة للعرفان؛ أي كلما زادت القدرة اللغوية، زادت درجة العرفان، وكلما قلت القدرة اللغوية، قلت درجة العرفان. والوجه الثاني هو عكس الأول، أي أنّ العرفان علة اللغة؛ أي كلما زادت درجة العرفان، زادت القدرة اللغوية، وكلما قلت درجة العرفان، قلت القدرة اللغوية. والوجه الثالث يشمل الوجهين السابقين معا، أي أنّ اللغة علة للعرفان، والعرفان علة للغة في نفس الوقت.[2]

- **اللغة علّة للعرفان:**

إنّ صاحب هذا الإتجاه هو العلامة **إدوارد سابير** ثم جاء بعده بنيامين وورف، ومن أهم التجارب التي أجريت تجربة **كارول** caroll **وكازاجراند** casagrand التي توضح أن استخدام لغة ذات فصائل معينة تحتم التفكير بطريقة معينة، فإذا كانت فصائل اللغة تهتم بالأشكال والهيئات مثلا، جاء تفكير أصحابها مهتما بالأشكال والهيئات؛ فمن الأجباري في لغة نافاهو navaho أنه عند استخدام فعل من أفعال التناول أن تستخدم بالذات واحدا من مجموعة من الصور اللفظية طبقا لشكل أو بعض الخصائص الأخرى الأساسية للشيء الذي يتكلم عنه الشخص. وعلى ذلك فلو سألتك بلغة نافاهو أن تناولني شيئا ما، يجب أن أستخدم جذر الفعل المناسب معتمدا على صيغة الشيء مرنا مثل قطعة من الخيط يجب أن أقول Sãnléh أما إذا كان الشيء صلبا كالعصا يجب أن أقول Sãntíih وعلى أساس هذه التفرقة النحوية الطريفة افترض كازاجراند و**كارول** أن" الأطفال الذين يتكلمون لغة نافاهو سوف يتعلمون التفرقة بين الخصائص الشكلية للشيء في عمر أكثر بكورا من قرنائهم الذين يتكلمون الإنجليزية، فالأطفال الذين يتكلمون نافاهو سوف يكونون أكثرا ميلا من الآخرين لأن يدركوا التشهات الشكلية بين الأشياء من حيث اللون والحجم والشكل والهيئة ...الخ.[3]

---

[1] علم النفس في حياتنا اليومية: د. محمد نجاتي، ص:258.

[2] علم اللغة النفسي (مناهجه ونظرياته وقضايه): د. جلال شمس الدين، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2003، ج2، ص:148، 149.

[3] انظر: المرجع نفسه، ج2، ص:149، 150.

والنتيجة التي نخلص بها أنه أمكن للغة على المستوى العرفاني أن تنتقل بأطفال النافاهو إلى مستوى الأطفال الأكبر سنا وإلى المستوى العقلي للأطفال الأثرياء في تمييز الهيئات والأشكال قبل الألوان، أي أمكن دفع إلى الأمام لأطفال النافاهو عن طريق اللغة. مما يؤيد أنّ اللغة تؤثر على العرفان.[1]

إذن؛ فاللغة ليست علّة للفكر والعرفان ووعاء لهما، بل وعاء للنفس، أي أنها تحمل ـ فيما تحمل ـ عوامل التأثير الذوقي والنفسي على المتلقي، وخاصة في مراحل الطفولة والشباب؛ فيكون لها أكبر الأثر في تكوين شخصية الإنسان النفسية، وتوجيه أذواقه وميولاته الوجدانية ! وهذه من الحقائق التجريبية التي أقرها علم النفس اللغوي، ولا شك أن كلاً منا له ذكريات وجدانية ونفسية مع عبارات بعينها مما وقع على سمعه في صغره وسجلته ذاكرته، علاوة على ما استقر في عالم اللاشعور، وبقي يوجه ذوق الإنسان من حيث لا يدري.[2]

- **العرفان علّة للغة:**

يرى أصحاب هذا الرأي أنّ اللغة ماهي إلا واحدة فقط من الأنشطة التحليلية المتعددة التي تعتمد جميعا على نمو العرفان، وينظر لاكتساب اللغة على أنه يحتاج لمتطلبات مسبقة أو محايثة معينة، ذلك أنّ الطفل طبقا لهذا الإدعاء لن تنمو لديه الصيغ اللغوية قبل المبادئ العرفانية لهذه الصيغ، فمثلا نتوقع أن يتعلم الطفل الإجابة على السؤال أين المكان ؟ قبل أن يتعلم الإجابة عن السؤال متى الزمان ؟ لأن مفهوم المكان يكتسب قبل مفهوم الزمان.[3]

- **اللغة والعرفان كل منهما يؤثّر في صاحبه:**

ويعزى هذا الرأي إلى **جان بياجيه** بحيث يرى أن كما أنّ اللغة والعرفان متفاعلان وينموان معا، فكلما زادت القدرة اللغوية زادت القدرة العرفانية، وكلما زادت القدرة العرفانية زادت القدرة اللغوية، وكذلك هذا رأي العالم الروسي **فايجوتسكي** vygotsky (1886-1934).[4]

---

[1] انظر: علم اللغة النفسي (مناهجه ونظرياته وقضايه)، ج2، ص:151.

[2] انظر: مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد 206، ص:12، بترقيم الشاملة آليا.

[3] انظر: المرجع نفسه، ج2، ص160.

[4] انظر: المرجع نفسه، ج2، ص:162.

- **اللغة نسق هلامي تؤثّر وتتأثّر:**

إنّ الألفاظ وتركيب اللغة يجسد أساليب الفكر والمشاعر، ولقد حاولت الأجيال جيلا بعد جيل أن تتصارع فيما بينها أو فيما بينهما وبين العالم الخارجي من أجل تطوير أساليب لغوية جديدة تلائم الفكر والمشاعر في عصر بعينه. فجذور اللغة تنبت أساسا من واقع الثقافة والحياة العملية. ويؤكد لنا علماء الإنسان من أمثال "**مالينوسكي**" و"**هوكارت**" أن لغة المجتمع تعكس لنا طريقة تصنيفه للأشياء وتقسيمها إلى أنواع، ويبدو ذلك في سلوك الجماعة حينما تمارس نشاطها العملي. وقد شرح **مالينوسكي** بوضوح تلك الصعوبة التي تواجهنا عند محاولة فهم مدلول الكلمات دون الإشارة المستمرة إلى المضمون الثقافي العام.[1]

وقد استطاع علماء اللغة المحدثون أن يكتشفوا العلاقات الوثيقة بين اللغة والتاريخ والحضارة. ولعل نظرية العالم السوفييتي بنيامين لي وورف من أحدث هذه النظريات وأخصبها. فهو يرى أننا جميعا نتعلم لغتنا في فترة الطفولة المبكرة. فيبدأ الطفل في مطلع حياته بإدراك العالم ضمن إطار لغة أمه "الأم". وبغض النظر عن تنوع وغنى العالم الخارجي يبدأ المرء برؤية وإدراك تلك الحوادث التي لها تسميات.[2]

إن لغة أمنا تحلل العالم بأسلوبها الخاص وتفرض مثل هذا التحليل والإدراك "التجزئة" علينا جميعا. فالألمان يقولون WORDING OF THE WORLD أي –لو جاز لنا– "تفريد العالم" –أي التعبير عنه بالمفردات. هذه هي فكرة وورف: أن الناس لا يعيشون فقط في عالم الأشياء التي تحيط بنا وفي عالم الحياة الاجتماعية فقط، بل وكذلك في عالم لغة الأم. أن العالم من حولنا يشيد وفق "عالم اللغة". ويعبر وورف عن هذا بقوله: إن كل لغة تتضمن –عدا الاصطلاحات– آراء وأحكاما تعاكس الآراء والأحكام الأخرى.[3]

يمكن القول أن اللغات تختلف في طرق تناولها للعالم، ويكتسب الشخص لغة الأم منذ مطلع حياته. ولذلك فإنه يدرك العالم منذ طفولته الأولى، ومن خلال زاوية لغة الأم. فنحن أسرى الكلمات، ونحن ندرك قوانين لغة الأم في طفولتنا بشكل آلي وغير واع. وبجانب اكتسابنا للغة الأم بطريقة غير واعية، نكتسب طريقة تفكير خاصة كامنة في تلك اللغة. وتختلف اللغات في تقسيمها للعالم إلى عناصر بواسطة الكلمات. هنالك، مثلا، كلمة واحدة في لغة الأزتيك تطلق على "الثلج" و"البرد" و"الحديد"، بينما لها كلمات خاصة في اللغتين الروسية والإنجليزية.[4]

---

[1] انظر: دراسات في الفن الصحفي: إبراهيم إمام، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1972، ص:37.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص:ن.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص:ن.

[4] انظر: المرجع نفسه، ص:38.

وللإسكيمو عشرات التسميات للثلج؛ إذ يوصف بكل الأشكال التي تخطر بالبال، الثلج على الأرض، الثلج محمولا على الريح، الثلج الذائب، الثلج المتجمد ... إلخ ولكل حالة كلمة خاصة. كما أنه عند العرب عشرات الكلمات التي يوصف بها الجمل أو السيف، في حين لا توجد سوى كلمة واحدة في اللغات الأخرى.

ويرى علماء النفس أن الطفل يبدأ باستيعاب العالم الخارجي قبل أن يكون قد تعلم النطق، فالإنسان يحلل العالم الخارجي قبل أن يولد عند تفكير لغوي. وعندما يتعلم الطفل التكلم، ويبدأ باستعمال لغته لإلصاق التسميات بخبراته المكتسبة. فالأشياء تسبق المفردات والعكس ليس بصحيح. ولنفرض أن رائدين من رواد القضاء أحدهما أمريكي والآخر سوفييتي قد هبطا على سطح القمر، وعاد كل منهما ليروي انطباعاته بلغته الخاصة. فهل تكون الصورة الأمريكية مختلفة عن الصورة السوفييتية للقمر؟[1]

لقد زار الرحالة العرب قبل أكثر من ألف عام أراضي دول الشمال، وكانت طبيعة وتقاليد وعادات الفايكنج من سكان الشمال غريبة تماما في نظر الزوار العرب، وكانت الغرابة تضاهي غرابة القمر بالنسبة لسكان الأرض وبالإضافة إلى ذلك فإن اللغة العربية تختلف اختلافا تاما عن اللغة النورماندية. ومع ذلك ترى وصف العرب يتفق مع وصف النورمانيين بالنسبة لنفس الظواهر والحوادث والمدن. وأن كل لغة تصور العالم بطريقتها الخاصة، ولكن الرسالة عن الحقيقة تنقل بدقة وصواب.[2]

ويقارن علماء اللغة المعاصرون نظام اللغة بنظام الإحداثيات الهندسية، فالانتقال من لغة إلى أخرى شبيه بالانتقال من نظام هندسي للعلاقات إلى الآخر. أي أن العالم الخارجي هو نفسه غير أن صورته تختلف باختلاف اللغات.

إن العالم موغل في التنوع، كما أن عدد الكلمات محدودة في أية لغة. وقد نستطيع عند التعبير العملي العام أن نهمل قطاعات من التفاصيل غير الأساسية ونركز على صفات بارزة معينة. فالفنان الذي يتعامل بالألوان يجد من الضروري التمييز بين أدق الدرجات اللونية ومنحها تسميات متباينة، في حين أن الشخص العادي لا يشعر عادة بالحاجة إلى أكثر من بضعة صفات لتلبي حاجاته.[3]

---

[1] انظر: دراسات في الفن الصحفي، ص:39.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص:ن.

[3] انظر: المرجع نفسه، ص:ن.

- **المراجع المعتمدة:**

- **المجازات النبوية**: للشريف الرضي، تحقيق: د، طه محمد الزيتي، منشورات مكتبة بصيرتي، (د، ط)، (د، ت).
- **السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية**: مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: وائل بن حافظ بن خلف، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، (د، ت).
- **علم اللغة النفسي**: د، عبد العزيز بن إبرهيم العصيلي، (منتدى سور الأزبكية) م، ع، السعودية، ط1، 2006.
- **علم النفس اللغوي**: السيد محمود أحمد، الطبعة الثانية، منشوا رت جامعة دمشق، 1995.
- **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**: د، محمود السعران، دار الفكر العربي، ط2، 1997.
- **العربية وعلم اللغة البنيوي –دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث–**:د، حلمي خليل، دار المعرفة، القاهرة، 1996.
- **ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان**: د. عبد الله بن سعيد الشهري، دار نماء، م، ع، السعودية، ط1، 2014.
- **أبي آدم –قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة–**: د، عبد الصبور شاهين، دار الإعتصام، ط1، 1998.
- **توجهات معاصرة في التربية والتعليم**: عبد الرحيم خليل، مجد المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 2013.
- **اللغة العربية معناها ومبناها**: د. تمام حسان، عالم الكتب، ط5، 2006.
- **علم نفس النمو**: عادل عز الدين الأشول، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1996.
- **انفتاح النسق اللساني –دراسة في التداخل الإختصاصي–**: د، محي الدين محسّب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- **في نحو اللغة وتراكيبها**: د. خليل عمايرة، عالم المعرفة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1984.
- **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية**: د، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986.
- **اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم**: د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط1، 1999.
- **اللغوي بين القديم والحديث**: د. كمال بشر، دار غريب للنشر، القاهرة، ط1، 2005.
- **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**: لابن هشام (ت:761هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، (د، ط)، (د، ت).
- **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**: لابن الزبير الغرناطي (ت:708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- **تفسير الرازي = مفاتيح الغيب**: فخر الدين الرازي (ت:606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420هـ.
- **البلاغة العصرية واللغة العربية**: سلامة موسى، كلمات عربية للترجمة والنشر، جمهورية مصر العربية (د، ط).
- **علم النفس في حياتنا اليومية**: د. محمد نجاتي (د، ط)، (د، ت).

- **علم اللغة النفسي (مناهجه ونظرياته وقضايه)**: د. جلال شمس الدين، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2003.
- **دراسات في الفن الصحفي**: إبراهيم إمام، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1972.

- **المراجع الأجنبية المترجمة:**

- **الغريزة اللغوية –كيف يبدع العقل اللغة–**: ستيفن بنكر، ترجمة:د، حمزة المزيني، دار المريح، م، ع، السعودية، 2000.
- **أيقونات التطور**: علم أم خرافة؟ :د، جوناثان ويلز، ترجمة:د، موسى إدريس وآخرون، دار الكاتب للنشر والتوزيع، (د، ط)، (د، ت).
- **عنف اللغة**: جان لوسركل، ترجمة: د، محمد بدوي، مراجعة:د، سعد مصلوح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005.
- **علم النفس التطوري –العلم الجديد للعقل–**:دافيد باس، ترجمة: مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، أبو ظبي، ط1، 2009.

- **قائمة الدوريات:**

- **مجلة الرسالة**، العدد 884، بترقيم الشاملة آليا.
- **مجلة البيان**، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد 131، بترقيم الشاملة آليا.
- **السن الأنسب للبدء بتدريس اللغات الأجنبية في التعليم الحكومي**:د، خالد بن عبد العزيز الدامغ، مجلة جامعة دمشق– المجلد– 27 العدد الأول + الثاني 2011.
- **خطبة سطوة الكلمات**، الجزء الأول، للدكتور عدنان إبراهيم.

- **قائمة الروابط:**

- **http://www.ahlalhdeeth.com**، ملتقى أهل الحديث.
- **http://vb.tafsir.net** (أسرار التراكيب النحوية والتآليف الصوتية على الحالة النفسية لقارئ القرآن): لعبد الله الشهري.
- **http://www.diwanalarab.com** عيوب النطق ومشكلات التخاطب والكلام، حمدان رضوان.
- **http://www.acofps.com**، (اللغة بين منطقتي فيرنيك وبروكا): حسام فتوح عبد السلام شرارة.
- **http://www.fitnessyard.com**، تجديد خلايا الدماغ حقيقة أم خرافة ؟
- **http://www.alukah.net/**، طريقة د. عبدالله الدنان (سبيلنا إلى نهضة علمية وتعليمية راقية): أ. أيمن بن أحمد ذوالغنى.
- **http://www.enabbaladi.net**، متى يجب أن يبدأ الطفل بتعلم لغة أجنبية إضافة إلى لغته الأم ؟

- **http://www.almanalmagazine.com**، ازدواجية اللغة وآثارها على اضطرابات النطق والكلام: الياس طباع.
- **https://ar.wikipedia.org**، الحمض النووي الريبوزي المنقوص الأكسجين.
- **http://www.kaheel7.com**، معجزة الكلام عند الإنسان، عبد الدائم الكحيل.
- **https://ar.wikipedia.org**، مورثة، (ويكيبيديا).
- **https://ar.wikipedia.org**، نياندرتال، ويكيبيديا.
- **http://www.oloommagazine.com**، ما الذي يَجْعَلُنَا بَشَرًا ؟ كاترين بولارد.
- **https://ar.wikipedia.org**، الحمض النووي الريبوزي المنقوص الأكسجين.
- **http://www.marefa.org**، لغة-معرفة.
- **https://ar.wikipedia.org**، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
- **http://www.gulfkids.com**، الاضطرابات اللغوية : المفهوم والأسباب وخصائص المضطربين لغوياً.